

## بعبع الفراغ الدستوري

علي الصراف  
كاتب عراقي

المسؤولون في لبنان والعراق يحذرون المحتجين من الوقوع في "الفراغ الدستوري" بوصفه البعبع الذي يجب أن يخافوا منه. عادل عبدالمهدي لم يتردد في تقديمه وكأنه "السلوة" التي يجب أن يتقيها المتظاهرون. وفعل الرئيس ميشال عون وحسن نصرالله الشيء نفسه.

ولكن كم هو مخيف فعلا هذا البعبع؟ فعندما تكون إزاء "دولة فاشلة" كالعراق أو لبنان، يجتاحها الفقر والمرض والعجز السياسي والانهيار الأمني، وتطفو فوق سلطتها سلطة الميليشيات، وتهيمن على اقتصادها مافيات الفساد والامتيازات الطائفية، وتتدخل في شؤونها أطراف خارجية، فماذا بقي من الفضل لكي تخاف عليه من "الفراغ الدستوري"؟

## عندما يبلغ انعدام الدستور مبلغ انعدام الحياء، فليس من المستغرب أن يصبح «الفراغ الدستوري» بعبعا لإخافة الناس

هذا الفراغ يعني، في أحد معانيه، انهيار قيادة الدولة. ولكن هل توجد في العراق دولة من الأساس، أم مجرد عصابات قامت بنهب الدولة وتفرغتها من كل محتوى جدير بالاحترام؟ وحيال الجرائم والانتهاكات التي ظلت ترتكب على امتداد كل سنوات الحكم ما بعد العام 2003، فكم بقي من الدستور؟ وهل راعت الميليشيات حرمان القانون فيه؟ العراقيون واللبنانيون إذ يطالبون بتغيير النظام، فلأنهم يعرفون أنه أسس لدولة الفساد، وأنه زرع الرعاع ورعايعهم وما أكل السبع. وهم من فساد فسادهم صاروا حراما على الحرام نفسه، كمثال الأسلحة المحرمة استخدامها ضد المتظاهرين قبل أن يظهر أنها في ذاتها فاسدة، وكمثال الفاسدين الذين صاروا يدعون لمكافحة الفساد، وكمثال اللصوص الذين صاروا يدافعون عن "دولة القانون".

وخذ مثلا للمخيف في "الفراغ الدستوري": فلو قرّر عبدالمهدي أن يرمي نفسه من الطابق العاشر، ولو أخذ ميشال عون إجازة مفتوحة من

قصر بعبدا، أو سقط في بالوعة ولم يخرج، فما الذي سوف يزيد أو ينقص حقا؟

واقف الفضل الذي يدفع الملايين للاحتجاج، يعني أن طاقم "الإمتلاء الدستوري" فارغ من كل معنى، ولا يملا ثقباً في جدار أي أزمة. بل إنه هو نفسه مصدر للازمات، حتى بلغ الاختناق بالناس أن يتظاهروا ليحتجوا ما يفرضه عليهم من فقر وأعمال قتل واغتياالات. والناس إذ يطالبون بإسقاط النظام، فهم يقصدونه بكل ما فيه، من قادة ومافيات وميليشيات وحكومة

ودستور، على حد سواء. ولو قيل إن ذلك مدخل للفوضى، فهل هناك، على وجه الحقيقة، أسوأ من فوضاهم؟ وهل كنا سوف ننتهي إلى ما نحن فيه لو لم تتسلط فوضى الفساد على كل مرفق من مرفق الحياة؟ ولقد رأى العراقيون واللبنانيون العجب العجاب منذ أن تسدر الطائفون المشهد، حروبا أهلية، ونزاعات دموية، وانهيارات دفعت البني التحتية إلى الخراب، وارتفعت القمامة جبلا أعلى من همامات النظام، فإذا كان ذلك كله ناتجا عن "الإمتلاء الدستوري" فمن ذا الذي يجب أن يخيفه الفراغ؟

الشعب الذي يريد إسقاط النظام، إنما يريد بعبارة أخرى إسقاط الفراغ الأخلاقي الذي أوجدته تلك المافيات والميليشيات، وأن يوقف الفوضى ويضع نهاية للعبث بمصائر الناس. وهو إذ يطالب بدستور جديد، وسلطة منتخبة على أسس جديدة، فإنه ضائق زعجا بكل من ظلوا يملأون الفراغ بالفساد، ويحشون جيوبهم بالمال العام المتهوب، ويصرفون شؤون الدولة بالتشاور مع أطراف لا يحق لها التدخل في شؤون الغير.

ولو كان ثمة دستور، لا خرقه ممسحة يتمسح بها على خامنئي وقاسم سليمان، ما كان ليتقرر مصير حكومة العراق أو لبنان، في مشاورات يجريها هذان مع متردبهم ونطاقهم هنا وهناك.

ولكن عندما يبلغ انعدام الدستور مبلغ انعدام الحياء، فليس من المستغرب أن يصبح "الفراغ الدستوري" بعبعا لإخافة الناس. الخائفون من الفراغ هم أنفسهم الذين صنعوه. وهم لا يريدون لفسادهم أن يفضي أو أن يوضع له حد. وهم يتذرعون به لكي يحافظوا على سلطة الفضل التي قادوها إلى الهاوية. فلما ضج الناس به وبهم، تذرعوا بالفراغ لكي يحميهم من الناس. شوقوا بعبعا آخر. هذه "السلوة" لا تخيف أحدا ممن يواجهون الرصاص.



## إيران مطرودة حتما من العراق

العراقيون أن يصل إليه الشعب العراقي. ذلك لأن المنتفضين الشباب لا يمكنهم اليوم قبول الإصلاحات الحكومية ولا حتى استقالة الحكومة، بقدر ما يفكرون بإنهاء النظام السياسي القائم على التبعية للوصاية الإيرانية.

وصف خامنئي ما يحدث في العراق بأنه أحداث شغب وهو يعرف جيدا أن كلامه لا يحمل ذرة من الصدق. ربما كان عليه أن يبحث عن الوسيلة، التي تمكنه من إجراء مفاوضات مع المحتجين، كونه كان مقصودا شخصيا بالاحتجاجات. سيضطر للقيام بذلك بعد أن يتأكد أن الوسائل التي سلبها إليها تابعوه لن تجدي نفعاً في إخماد نار الغضب العراقي بل ستزيدها اشتعالاً.

ليس من نهاية للنظام الطائفي القائم في العراق إلا بعد أن تقتنع إيران أن نفوذها في العراق لم يعد له غطاء محلي. ذلك ما يشده الثوار المسلمون الذين يشعرون أن هزيمة الطبقة السياسية ليست سوى مسألة وقت. ستسعى إيران إلى إنقاذ وضعها في العراق وستفشل في مسعاها. ذلك لأنها تفكر في إنقاذ الطبقة السياسية لتتخذ مشروعها. ذلك خطأ ستدفع ثمنه في مستقبل علاقتها بالعراق.

الأحزاب الدينية عن ولائها الكامل لإيران وتبعتها للولي الفقيه، لم يعد الحديث عن الأغلبية الطائفية إلا نوعاً من الرياء، الذي يراود من خلاله فرض الهيمنة الإيرانية بحيث تكون أمراً واقعاً.

## المحتجون يسعون إلى استعادة وطنهم من خلال تحريره من التفتيق الطائفي الذي وضعه تحت السيادة الإيرانية

وإذا ما كان المتظاهرون منذ اليوم الأول قد أسقطوا من اعتبارهم الدولة الطائفية، فإنهم اختصروا الطريق ليتوجهوا إلى إيران باعتبارها الراعي الرسمي لتلك الدولة. وهم في ذلك في إخترقوا كل الخطوط الحمراء ليصلوا إلى الخط الأخير، الذي لا تزال الطبقة السياسية في العراق تعتقد أنه سدها الأخير إذا ما تعرضت للخطر. ذهب المحتجون في ثورة تشرين/ أكتوبر أبعد مما كان يتخيل السياسيون

وفي مقدمتهم خامنئي وجعلهم يشعرون أنهم يقفون في مواجهة وعي جديد بالقضية العراقية. ذلك الوعي الذي تميز بصفااته وخلوه من البعدين الطائفي والعنصري. العراقيون اليوم لا يعالجون مسألة حريتهم انطلاقاً من كراهية عرقية أو طائفية بل المسألة أعمق من ذلك وأكثر شمولية واتساعاً.

بالنسبة للشباب الذين خرجوا إلى الشوارع محتجين لا تعنيهم هوية المحتل العرقية والطائفية لذلك خلت شعاراتهم من كلمات من نوع "فرس" و"موس" وسواهما من المفردات التي تنتمي إلى قاموس لم يعد قيد التداول وصار جزءاً من ماضي التاريخ السياسي. ليس هناك ما يؤخذ عليه المحتجون من جهة الطبقة السياسية الحاكمة في العراق على مستوى خطابهم السياسي. فهم ليسوا ضد حكم الأغلبية السياسية بالدستور وهم أيضا ليسوا ضد إقامة علاقات احترام تعاون مع جيران العراق وبضمنهم إيران.

ذلك كله يعني أن المحتجين يسعون إلى استعادة وطنهم من خلال تحريره من التفتيق الطائفي الذي وضعه تحت السيادة الإيرانية. فبعد أن كشفت

فاروق يوسف  
كاتب عراقي

هزيمة الطبقة السياسية الحاكمة في بغداد ممكنة غير أنها مسألة وقت. ذلك ما وطد عزم الشباب المحتجين على الصمود من أجل تحقيقها. صحيح أن منطقة الحكم صارت محاصرة ولا يمكن فك ذلك الحصار، إلا عن طريق القتال، وهو ما لم تتوزع أجهزة الحكم المسلحة عن القيام به، غير أن الصحيح أيضا أن إيران وهي الراعية للنظام لا تزال تملك تقنيات خبيثة تتحايل من خلالها أخراق التظاهرات وتدمرها من الداخل.

العداء بين المحتجين وإيران صار معلنا وتجاوز مسألة الاحتجاج على بقاء النظام، الذي هو وكيل إيران في الداخل العراقي. كان المحتجون انكباء في معالجة ذلك العدا، فهم لم يرفعوا شعارات عنصرية كما كان يجري في السابق بل تقيدت شعاراتهم بالطابع السياسي، بعيدا عن تهريج يذهب بالعداء إلى جذور تاريخية ليست ساحات الاحتجاج مكانا لها. ذلك ما أزعج أركان النظام الإيراني

## أعداء الانتفاضة العراقية الخمسة

سوريا ليس في صالحهم الآن، في ظل المناخ الدولي والإقليمي المعادي لإيران. فقد فتحت أبواب العراق لأمريكا ولدول عربية وأجنبية أخرى، لإغراق النظام الإيراني في محرقة جديدة هو ليس في حاجة لها الآن وغير قادر على تحمل آثارها ونتائجها المدمرة.

## جميع قادة العراق الحاليين يعلمون أن انتصار ثورة الشعب العراقي يعني أنهم جميعا سيكونون إما وراء القضبان إما قتل أو هارين من وجه العدالة

وعليه، فإن الإيرانيين، ومعهم وكلاؤهم وعملاؤهم، يراهنون على عامل الزمن. ففي أسبوع أو أسابيع، أو ربما في أشهر، سيضعر المنتفضون بالملل والياس والقنوط ويبدأون رحلة العودة إلى منازلهم، رويدا رويدا، كما حدث في انتفاضات أخرى سابقة.

والجماهير المنتفضة، هي الأخرى، لا تملك غير الانتظار. فلعل النظام يتهاوى من داخله بفعل المحاصرة والاعتصامات، ويكون لها النصر الأخير. إذن، فهي حرب انتظار مؤلمة لنهاية صبر الطرفين، وحتى النفس الأخير. والذي يقف صبره أو لا يكون هو الخاسر الأكيد.

مسعود، رئيس حكومة بارزاستان الحالي، في العام 2016 في حديث لصحيفة واشنطن بوست "أن الأكراد اعتباراً من الجمعة السادس من مايو/ أيار 2016 ليسوا مواطنين عراقيين؟" 4 - تركيا ودول عربية وأجنبية، ومنها أميركا ودول أوروبا وروسيا والصين وغيرها، لا يسرها ولا يناسبها انتصار الانتفاضة الشعبية العراقية الحالية الخارجة من أعماق الضمير الوطني العراقي، وقيام سلطة الشعب العادلة النزيهة القوية الجريئة التي ترفض العمالة والخيانة والتفريط بأي حق من حقوق الدولة العراقية وسيادتها وكرامة شعبها.

الوضع الحالي، بكل إدانات حكام هذه الدول لقادته بالفساد والنفاق والعمالة والخيانة، أنسب لهم من سواء، وأنفع.

5 - وأخر أعداء الجماهير المنتفضة بعض أصحاب النوايا الحسنة، أو السيئة، من المتظاهرين الذين يرتكبون حماقات واعتداءات وشعارات تؤذي الانتفاضة، وتعطي أعداءها الحجج والاعتذار للرد بحماقات ليست الانتفاضة بحاجة إليها الآن.

الخلاصة: إن الإيرانيين وكلاهم العراقيين جاهزون ومتاهبون وعازمون على ردم ساحة التحرير بالمدافع والصواريخ، وذك منازل المنتفضين في النجف وكربلاء والناصرية وغيرها بالبراميل المتفجرة إذا بلغت الأمور خطها الأحمر الأخير. ولكن، لأنهم يعرفون أن شنبهم حربا من نوع حرب بشار الأسد وحزب الله في

الحازم والحاسم لعادل عبدالمهدي غير عابى ولا سائل عن مسؤوليته الأولى عن مئات الشهداء وآلاف المصابين والمختطفين من شباب الوطن المسالمين الذين لم يحملوا حتى سكين مطبخ ولم يطلبوا غير الخبز والكرامة والعدالة، رافضا بإصرار أي تلويح بتعديل الدستور الملغوم المشوش الذي صاغه، هو وحلفاؤه قادة الأحزاب الدينية الإيرانية، على مقاس مصالحهم الحزبية والأسرية والعنصرية والطائفية، وخصوصا ما يتعلق منه بمكاسب السلطة في كردستان، حتى وإن كانت الجماهير الكردية آخر من استفاد ويستفيد منها.

ومسعود، في النهاية، ومعه ورثة جلال الطالباني وبعض قادة الأحزاب الكردية الأخرى، لن يتورع ولو لحظة واحدة في خوض حرب الدفاع عن النظام الفاشل الفاسد القائم في بغداد، منعا لقيام سلطة شعبية عراقية غير طائفية وغير عنصرية وغير مرتشبة وغير خاضعة لوصاية خارجية سوف ترفض ابتزازه ونهبه لثروات الوطن.

الم يعلن مسرور البارزاني، ابن

وكردها، حين يشعرون بقرق خسارتهم مناصبهم ومكاسبهم وزعاماتهم وميليشياتهم وأموالهم، والعودة إلى حياة النذل والفقر والتسرع في مقاهي طهران ومدمر ومشرق ولندن واسطنبول.

3 - لم يستح مسعود البارزاني ومعه جميع أفراد أسرته وأخرون من السياسيين الكرد المتحاصنين معه في اقتسام كردستان، من إعلان تأييده

عروس التظاهرات مهرها التغيير

والعسكرية والإعلامية العراقية الحاكمة في المنطقة الخضراء، بامر المحتل الإيراني وبركاته وموافقاته، لتكون العدو الأخر المستقل والمستميت في واد أي انتفاضة شعبية من أي نوع. يعلم جميع القادة الحاليين، بمختلف ولاياتهم وانتماءاتهم ومواقفهم، أن انتصار الشعب العراقي في إسقاط نظامهم وإقامة سلطة شعبية وطنية حقيقية منحرة من أية وصاية أجنبية يعني أنهم والمخالفين معهم، والمستفيدين من فسادهم، شيعا وسنة وكردا، مسلمين ومسيحيين، جميعا، سيكونون إما وراء القضاء، أو هارين من وجه العدالة.

وتخيلوا ماذا يمكن أن يضطر لفعلة هادي العامري ونوري الملكي وفالح الفياض وأبو مهدي المهندس، ومعهم سنة إيران

1 - بالتدقيق المثاني في حقيقة المارق العراقي الحالي، نجد أن النظام الإيراني الذي فشل في احتلال العراق، بحرب دامت ثمان سنوات، جعل احتلاله هدفا استراتيجيا قوميا ملحا، لكونه البوابة اللازمة والضرورية لعبور القوة الإيرانية إلى ما وراء حدوده، نحو الغرب ونحو الجنوب. ثم حدث أن غزا الأميركيون العراق عام 2003 فأهدوا خليفة الخميني، يعلمهم أو بجعلهم، فرصة موأنية ليحقق، بالخديعة والتقية، ما عجز إمامه الخميني عن نياله بالقوة. ولا يتك اثنان في أن القبض على العراق ساعد نظام الملاي على الاستقواء في سوريا، والتمدد نحو لبنان، ثم إلى اليمن لمحاصرة دول الخليج العربي. وبهذا يصبح النظام الإيراني أول أعداء الانتفاضة الشعبية العراقية، وأخطر الساعين إلى إفضالها بكل الوسائل والأساليب.

فالإيرانيون لا يستطيعون أن يتحملوا خسارة العراق، خصوصا في وضعهم الخائف الحالي، وذلك لأسباب وبدوافع عديدة سياسية وأمنية وعسكرية واقتصادية، ولمعرفتهم بأن حلمهم القومي الإمبراطوري يعيش ويكبر ويتوسع في العراق، ولكنه يموت فيه أيضا.

2 - ومع النظام الإيراني تأتي الطبقة السياسية والاقتصادية والأمنية

إبراهيم الزبيدي  
كاتب عراقي

عروس التظاهرات مهرها التغيير

عروس التظاهرات مهرها التغيير